

المتن

والصفات السلبية: ما نقاها الله - سبحانه - عن نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب.

الشرح

هذه الصفات السلبية يجب نفيها عن الله ، لكن ليس الواجب مجرد نفيها فقط ؛ بل يجب اعتقاد ضدها ، فمثلا "لاتأخذُه سِنَّةٌ ولا نوم" [البقرة: 255] ، لا يكفي في الاعتقاد أن نقول : إن الله لا ينام حتى نعتقد أنه لا ينام لكمال حياته وقيوميته، لا مجرد أنه لا ينام فقط ، لأننا نقول إن كلمة " لا ينام" مجرد انتفاء النوم ، وهذا في حد ذاته ليس كمالاً. وكذلك أيضًا قوله تعالى: "وما مسنا من لغوب" [ق: 35] أي: من تعب وإعياء، فلا يكفي هنا أن نؤمن بأن الله تعالى لم يتعب فقط ، بل يجب أن نؤمن بأنه لم يتعب لكمال قوته. وإلا لقلنا مثلاً أن العمود هذا عليه سقف يحمل السقف هذا كله هل يتعب؟ ماهو يتعب أبداً ولا سمعنا يوماً من الأيام أنه صاح علينا يقول ياناس اتعبتموني. فإذن يجب أن نعتقد يا إخواني أن مانقاه الله عن نفسه لا يكفي أن نعتقد مجرد انتفاء هذا المنفي ؛ بل لابد أن نُضيف إلى ذلك إثبات كمال الضد.

المتن

فيجب نفيها عن الله تعالى - لما سبق - مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل، وذلك لأن ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده، لا لمجرد نفيه؛ لأن النفي ليس بكمال، إلا أن يتضمن ما يدل على الكمال.

الشرح

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء، أي: المعدوم ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون كمالاً، فإذا كان العدم ليس بشيء فكيف يكون مدحاً وهو ليس بشيء؟ إذا فهذا النفي مُتَضَمِّنٌ لإثباتٍ وإلا لم يكن مدحاً.

المتن

وذلك لأن النفي عدم، والعدم ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون كمالاً، ولأن النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له، فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم. وقد يكون للعجز عن القيام به فيكون نقصاً، كما في قول الشاعر:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ..... وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

وقول الآخر:

لَكِنْ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي حَسَبٍ..... لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

الشرح

البيت الذي يلي الأخير هو قول الشاعر:

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرةومن إساءة أهل السوء إحسانًا
أي : إذا ظلمهم أحد قالوا :غفر الله لنا ولك ، وذلك حتى لايسيء إليهم إساءة أكبر ،
وهؤلاء مذمومون ، ولهذا قال بعده:

فليت لي بهم قومًا إذا ركبوا شئوا الإغارة فرسانًا وركبانًا

تمنى الشاعر أن يأتي الله بغير هؤلاء الذين يشنون الإغارة

*والخلاصة: أن الله تعالى لا يُوصف بالنفي المحض لما يلي:

1-أولاً: لأن النفي المحض عدمٌ محضٌ ،والعدم ليس بشيءٍ فضلاً عن أن يكون كمالاً.

2-ثانياً: لأن نفي الشيء عن الشيء قد يكون لعدم قابليته له لا لكمال الذي أوجب أن ينتفي عنه، مثل قولنا: الجدار لا يظلم.

3-: أن النفي قد يكون للعجز عن هذا المنفي، فيكون النفي حينئذٍ نقصاً. فإذا قلت: هذا

الرجل لا يغدر بالعهد ،مدح ولاذم؟ يحتمل ؛ يحتمل لا يغدر لكمال وفائه ؛وحينئذٍ يكون

هذا مدحاً فيه . ويحتمل لا يغدر بالعهد لأنه ما يقدر ، يخاف لو يغدر بالعهد هذه المرة كروا

عليه مراتٍ ومراتٍ حتى أتلفوه لعجزه ، وهنا يكونُ هذا ذمّاً فيه . والحاصل: أنه يجب

علينا نحو صفاتِ الله التي نقاها الله عن نفسه ؛ أن نؤمن بانتفاءها لا لمجرد الانتفاء ؛

ولكن لإثبات كمال ضدها. وإذا كانت هذه الصفات منفية لشبوت كمال ضدها صارت

صفة كمال.

المتن

* مثال ذلك: قوله تعالى "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ" [الفرقان: 58]. فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته.

* مثال آخر: قوله تعالى "وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" [الكهف: 49] نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.

* مثال ثالث: قوله تعالى "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ" [فاطر: 44]. فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه وقدرته. ولهذا قال بعده: "إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا". لأن العجز سببه إما الجهل بأسباب الإيجاد، وإما قصور القدرة عنه فلكمال علم الله تعالى وقدرته لم يكن ليعجزه شيء في السموات ولا في الأرض. وبهذا المثال علمنا أن الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال.

الشرح

أكثر من كمال العلم والقدرة.